الأسرة الكبيرة

وهل تجد تشجيعا أم تثبيطا فى مصر ؟

عمدت وزارة المعارف فى السنوات الأخيرة الى مساعدة العائلات الكبيرة فى تعليم أبنائها بجعلت امتياز التعليم بالمجان أو بنصف المصروفات غير مقصور على الفقراء بل يتجاوزهم الى العائلات الكبيرة التى يكثر أبناؤها فتعجز عن تعليمهم أو أن مصروفات هـذا التعليم ترهقها فتؤثر فى نفقاتها الأخرى .

وربما كانت هذه المساعدة التى ابتكرتها وزارة المعارف أول امتياز تجده العائلة الكبيرة فى مصر . وهو امتياز حسن يزيد النور والمعرفة والثقافة . ونحن نرجو أن تليه امتيازات أخرى فان العائلة الكبيرة التى يكثر فيها الاطفال تدل بمحض وجودها على رقى فى الوراثة والوسط. اذ لوكان هناك أى عيب وراثى يؤثر فى صحة الجسم أو العقل ويدل على أن الاورمة التى نبتت منها هذه العائلة سيئة لا تضح أثر هذا العيب والسوء فى أمراض مختلفة تنال الأطفال وقد تقضى على كثير منهم . فتعود العائلة بكثرة هذه الوفيات صغيرة . لأننا حين نصف العائلة بأنها "كبيرة" انما نعنى أن للأبوين نحو ستة أو ثمانية أطفال أو أكثر .

ولسنا نعنى أن الام قد حملت عشر مرات ومات ثلاثة أرباع أطفالها . فمحض بقاء الأطفال على قيد الحياة برهان على تراث حسن من الصحة . كما هو برهان أيضا على حسن البيئة البيتية التى نشأوا فيها . أى أن الأبوين كانا على ثقافة حسنة تلائم تربية الأطفال وأن البيت كان يحوى الشروط الصحية من نظافة وصيانة إلى غذاء كاف واف إلى غير ذلك مما تتطلبه حياة الأطفال . فالعائلة الكبيرة تعد من ناحية هـذه الاعتبارات وحدة اجتماعية وسلالية يجب أن تحرص الأمة على مساعدتها و إيجاد الفرص الملائمة لرفاهيتها وتعليم أبنائها .

والعائلة الكبيرة برهان على رقى الأبوين . كما هى برهان على أنهما قد اتبعا أسلوبا حسنا فى المعيشة سوف يتبعهما فيه الأبناء .

بل هناك اعتبار آخر يلتفت اليه المربون فى قيمة العائلة الكبيرة . ذلك أن الصبى الذى ينشأ وحيدا يدلله أبواه على الرغم منهما لأنهما يتعلقان به و يخشيان عليه أكثر مما ينبغى . فينشأ مدللا — وحيد أمه — قاصرا عن ادراك التبعات الاجتماعية . وقد يثبت فيه هـذا التدلل طيلة عمره حتى ولو بلغ سن الشيخوخة . وكذلك الحال فى الصبى ليس له غير أخت . أو ليس له غير أخ تفصل بينهما سنوات عدة . فانه فى هذه الحال يدلل أيضا وان لم يكن بدرجة الطفل الوحيد . وللتدليل آثار بعيده فى خيبة الأبناء وأحيانا فى وقوعهم فى الإجرام والفساد. لأن الصبى المدلل يواجه مجتمعا لا يجد فيه المعاملة التى كان يجدها فى المنزل.

أما الولد الذى يشأ فى عائلة كبيرة ، فقلما يجد من يدلله . وحتى حين يجد هذا التدليل من أبويه فان أخوته بمالهم من حق المساواة به يردونه عن الخطأ أو الاستهتار . فهو يعيش معهم على الأسس الديمقراطية يعرف أن له حقوقا وعليه أيضا واجبات . فالبيئة البيتية تعده لأن يكون فردا صالحا فى المجتمع . وليس هذا الامتياز الصغير الذى يعزى "لمصل فيه للعائلة الكبيرة .

والأخلاق إنما يبنيها الاجتماع ولا يمكن أن يصلح إنسان بالانفراد . فكلما كثر الاخوة فى البيت زادت تبعات كل فرد منهم حتى يكتسب العقلية الاجتماعية و يسلك السلوك الاجتماعى الذى نحتاج اليه الان . بل الذى يحتاج هو اليه لكى ينجح و يسعد .

والواقع أن كثيرا من الأمم قد شرع يلتفت الى هذه المسألة . ونستطيع هنا أن نستبعد عن أذهاننا تلك الأمم التى شجعت وما زالت تشجع أبناءها على الزواج وزيادة التناسل لغايات حربية أو امبراطورية . ولكن يبقى بعد ذلك أن هناك دولا كثيرة تقدم ضروب المساعدات للعائلة الكبيرة سواء أكان هذا من ابتكار الأفراد أم الحكومات . ففى بعض المصانع الأوربية (و بين اليهود الصهيونيين فى فلسطين) تعطى الأجرة أحيانا على أساس عدد الأطفال . فالصانع الذى يحمل تكاليف ستة أطفال يأخذ أجرا أكبر من الذى يحصل عليه صانع ليس له غير طفلين . وكذلك هناك امتيازات أخرى فى السكنى وفى النقل على السكك الحديدية بحيث يمكن العائلة الكبيرة التى تؤلف من عشرة أشخاص أن تصل إلى مصطافها أو مشتاها بأجرة لا تزيد على أجرة شخصين . وليس هذا بالامتياز الرخيص . فإن العائلة المصرية التى تفكر فى قضاء اسبوعين فى الاسكندرية مثلا نجد أن نفقات السفر وحدها ترهقها وتثبطها . فى حين أن الأعزب أو المتزوج الذى ليس له أولاد أو له القليل من الأولاد يستطيع أن يتزه أولاده كل عام و يقتنى الصحة والعافية التى تفتقر اليهما العائلة الكبيرة .

وعندنا أنه يمكن الحكومة أن تساعد العائلة الكبيرة بوسائل مختلفة تتمشى مع الأسلوب الذى اتبعته وزارة المعارف فى التخفيف من المصروفات المدرسية لأبناء العائلة الكبيرة . فانها مثلا تستطيع أن توجد تذاكر للسفر بحيث يمكن الزوجين مع جميع أبنائهما إذا كانوا دون الخامسة عشرة أن يسافروا معهم بأجرة مسافرين اثنين أو ثلاثة مسافرين مثلا . وكذلك يمكن الحكومة أن ترعى العائلة الكبيرة فى معاشات الموظفين بأحسن مما ترعاهم الآن .

ومن حق الأم التى أنجبت ثمانية أولاد مثلا كلهم صحيح الجسم وكلهم سليم العقل ولم يمت منهم أحد قط أن تطالب الحكومة والمجتمع برعاية هؤلاء الأبناء رعاية اقتصادية وثقافية إذ هى قد قدمت لها ثروة لا تقدر بثمن وأورثت تراثا اجتماعيا وسلالة ساميا ما